Knowledge Scientific Journal
Multidisciplinary Electronic
E-ISSN: 2708-3527
Issue: II
Date of Publication: 05/08/2020
www.knowledge.upel-uol.mg
مجلة المعرفة
متعددة التخصصات الإلكترونية
الترقيم الدولي المعياري الإلكتروني: 2708-3527
العدد: 2
تاريخ الإصدار: 2020/08/05

سماحة وعظمة الإسلام في ضوء حديث النبي ﷺ" إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ"

The tolerance and greatness of Islam in light of the hadith of the Prophet (PBUH) “Religion is easy”

الدكتور /عبد الرحمن السيد السيد عبد الغفار بلح، (مصر)

تاريخ النشر: 05 أوت 2020

الملخص:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: يهدف المقال إلى إبراز وبيان عظمة وسماحة و يسر الإسلام من خلال هذا الحديث، فالإسلام دين الوسطية والاعتدال والعدل. ويتناول الحديث بالشرح والتوضيح وبيان أهم ما يستفيد منه المسلم من هذا الحديث ، وتناولنا إلقاء الضوء علي عدد من صور سماحة ويسر الإسلام كالنهي عن التشديد في الدين ، بأن يحمِّل الإنسان نفسه من العبادة ما لا يحتمله إلا بكلفة شديدة، و دين الإسلام سَمَّاهُ النبي يُسْرًا مُبَالَغَةً بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَدْيَانِ قَبْلَهُ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَفَعَ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْإِصْرَ الَّذِي كَانَ عَلَى مَنْ قَبْلَهُمْ، فما أعظم هذا الحديث وأجمعه للخير والوصايا النافعة والأصول الجامعة، وهذا الحديث علم من أعلام النبوة، والحديث نصٌّ في أن الدين يسرٌ، و أن الدين قَصْدٌ، وأَخْذٌ بِالْأَمْرِ الْوسَط، فلا يفرط المرء على نفسه، ولا يفرّط.

الكلمات المفتاحية: عظمة، سماحة، الإسلام، الحديث، الوسطية.

Abstract:

In the name of God, the Most Gracious, the Most Merciful, and blessings and peace be upon the most honorable messenger, our Prophet Muhammad, his family and companions, and those who followed him with kindness until the Day of Judgment. As for the following: The article aims to highlight and demonstrate the greatness, tolerance and ease of Islam through this hadith, for Islam is a religion of moderation and justice. The article deals with an explanation and clarification of the most important thing that a Muslim would benefit from this hadith, and we dealt with shedding light on a number of forms of tolerance and ease of Islam, such as the prohibition on stressing religion, that the person carries himself from worship that he cannot bear except at great expense, and the religion of Islam called it the Prophet Yusra Exaggeration in relation to the religions before it; Because God Almighty removed this nation from insisting what was upon them before them, what is the greatest of this hadith and its combination of goodness and beneficial commandments and common principles, and this hadith is a science of the flags of prophethood, and the hadith stipulates that religion is easy, and that religion is intent, and I take the middle matter, so one does not neglect Same.

Keywords: **Greatness, Eminence, Islam, hadith, Medial**

Knowledge Scientific Journal
Multidisciplinary Electronic
E-ISSN: 2708-3527
Issue: II
Date of Publication: 05/08/2020

Revue Scientifique le Savoir
Multidisciplinaire - Électronique
Knowledge Scientific Journal
Multidisciplinary - Electronic
مجلة المعرفة
E-ISSN : 2708-3527
www.knowledge.upel-uol.mg

مجلة المعرفة
متعددة التخصصات الإلكترونية
الترقيم الدولي المعياري الإلكتروني: 2708-3527
العدد: 2
تاريخ الإصدار: 2020/08/05

المقدمة:

الحمدُ للهِ المتفضِّلِ بإنزالِ القرآنِ على الناسِ، وبيّناتٍ من الهدى والفرقانِ، أنزله بأفصحِ لسانٍ، وأوضحِ بيانٍ، وأسطعِ برهانٍ، وأقومِ تبيانٍ، وأبلغ حُجَّةٍ، وأبيَنِ مَحجَّةٍ. ذا حِكَمٍ بالغةٍ وحُججٍ لامعة. أخبارُه لا تَتعارضُ، وأحكامُه لا تَتَناقضُ، وفوائدُه لا تُعدُّ، وفضائلُه لا تُحدُّ، وجواهرُ بحارِهِ لا تُحصَى، ودُرَرُ معانيهِ لا تُستقصَى. عَجزتِ الفُصحاءُ عن معارضتِهِ، ونَكصتِ الألبَّاءُ عن مُناقضتِهِ. وكيف لا يكونُ كذلك وهو كلامُ ربِّ العالمين، المنزَّلُ به الروحُ الأمينُ، على قلبِ سيدِ المرسلين، وأفضلِ الأولين والآخرين؛ محمدٍ خاتمِ النبيّين. أرسلَه بآياتهِ، وأيَّدَه بمعجزاتهِ، والكُفرُ قد طَمَتْ بحارُه، وزخرَ تيَّارُه. وعُبدتِ الأوثانُ، وأُطيعَ الشيطانُ. فلم يزلْ ﷺ يجاهدُ في اللهِ حقَّ جهاده، ويَدعو إليه الثَّقلين من عباده. ويدأبُ في إيضاحِ السُّبل، ويصبرُ صبرَ أولي العزم من الرسُل، إلى أن أنجزَ اللهُ وعدَه، فعُبد وحدَه، وهزم الشيطانَ وجندَه، وفلَّ شَباتَه وحدَّه، صلى الله عليه، وعلى آلِهِ الأطهارِ، وصحابتِهِ الأخيارِ، ما تعاقَبَ الليلُ والنهارُ، وسلَّم، وشرَّف، وكرَّم[1]، وبعد فهذه بعض التوجيهات النبوية من حديث جامع من جوامع كلمه ﷺ[2]

نص الحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ "[3]

1- مناسبة إيراد الحديث:

مناسبة إيراد المصنف لهذا الحديث عقب الأحاديث التي قبله ظاهرة من حيث إنها تضمنت الترغيب في القيام والصيام والجهاد، فأراد أن يبين أن الأولى للعامل بذلك أن لا يجهد نفسه بحيث يعجز وينقطع، بل يعمل بتلطف وتدريج ليدوم عمله ولا ينقطع.

2-فقه ترجمة البخاري للحديث:

قال –رحمه الله – (باب الدِّينُ يُسْرٌ، وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: " أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ")، قال في هدي الساري: "وإنما استعمله المؤلف في الترجمة لأنه ليس على شرطه و مقصوده: أن الدين نبع على الأعمال لأن الذي يتّصف بالعسر واليسر إنما هو الأعمال دون التصديق".

1-هذه المقدمة البليغة مستلةً من: مقدمة السمين الحلبي–رحمه الله– لكتابه: " عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ"،(37/1).

2-يقول ابن رجب في "جامع العلوم والحكم"، (ص:53):" وَخَصَّهُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، فَرُبَّمَا جَمَعَ أَشْتَاتَ الْحِكَمِ وَالْعُلُومِ فِي كَلِمَةٍ، أَوْ شَطْرِ كَلِمَةٍ... قَالَ الزُّهْرِيُّ: جَوَامِعُ الْكَلِمِ – فِيمَا بَلَغَنَا – أَنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ لَهُ الْأُمُورَ الْكَثِيرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُكْتَبُ فِي الْكُتُبِ قَبْلَهُ فِي الْأَمْرِ الْوَاحِدِ وَالْأَمْرَيْنِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ". انتهي

3 –أخرجه البخاري في "صحيحه" في (كتاب الإيمان، باب الدين يسر) (1 / 17) برقم: (39)، والنسائي في "المجتبى" في (كتاب الإيمان وشرائعه، باب الدين يسر) (1 / 974) برقم: (5049 / 1)، والبيهقي في "السنن الكبرى" في (كتاب الصلاة، باب القصد في العبادة والجهد في المداومة) (3 / 18) برقم: (4817)، وابن حبان في "صحيحه" في (كتاب البر و الإحسان، ذكر الأمر بالغدو والرواح والدلجة في الطاعات عند المقاربة فيها) (2 / 63) برقم: (351)

3-معاني الكلمات:

" يُسْرٌ ": أي ذو يسر. قال ابن الأثير في "النهاية"، (295/5): الْيُسْرُ: ضِدُّ الْعُسْرِ. أَرَادَ أَنَّهُ سَهْلٌ سَمْحٌ قَلِيلُ التَّشْدِيدِ"، وقال العيني في "عمدة القاري" (234/1): وذلك لأن الالتئام بين الموضوع والمحمول شرط، وفي مثل هذا لا يكون إلا بالتأويل أو هو اليسر نفسه كقول بعضهم في النبي ﷺ إنه عين الرحمة مستدلاً بقوله تعالى: **{وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِين}** [الأنبياء: 107]

" يشاد الدين " يكلف نفسه من العبادة فوق طاقته والمشادة المغالبة.

قال ابن الأثير في "النهاية"، (451/2):" مَنْ يُشَادُّ الدِّينَ يَغْلِبُهُ أَيْ يُقَاوِيهِ وَيُقَاوِمُهُ، وَيُكَلِّفُ نَفْسَهُ مِنَ الْعِبَادَةِ فِيهِ فَوْقَ طَاقَتِهِ، وَالْمُشَادَدَةُ: الْمُغَالَبَةُ، وَهُوَ مِثْلُ الْحَدِيثِ الْآخَرِ إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ".

" إلا غلبه " رده إلى اليسر والاعتدال.

" فسددوا " الزموا السداد وهو التوسط في الأعمال.

يقول ابن الأثير في "النهاية"، (352/2):"أَيِ اطْلُبُوا بِأَعْمَالِكُمُ السَّدَادَ وَالِاسْتِقَامَةَ، وَهُوَ الْقَصْدُ فِي الْأَمْرِ وَالْعَدْلُ فِيهِ". "قاربوا " اقتربوا من فعل الأكمل إن لم تستطيعوه.

يقول ابن الأثير في "النهاية"، (32/4):" أَيِ: اقْتَصِدُوا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَاتْرُكُوا الْغُلُوَّ فِيهَا وَالتَّقْصِيرَ، يُقَالُ: قَارَبَ فُلَانٌ فِي أُمُورِهِ إِذَا اقْتَصَدَ"

"واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة "أي: استعينوا على مداومة العبادة بإيقاعها في الأوقات المنشطة كأول النهار وبعد الزوال وآخر الليل، يقول ابن الأثير في "النهاية"، (346/3):" الْغَدْوَةُ: الْمَرَّةُ مِنَ الْغُدُوِّ، وَهُوَ سَيْرُ أَوَّلِ النَّهَارِ، نَقِيضُ الرَّوَاحِ، وَقَدْ غَدَا يَغْدُو غُدُوًّا. وَالْغُدْوَةُ بِالضَّمِّ: مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ".

وقال في (129/2):" الدُّلْجَةُ هُوَ سَيْرُ اللَّيْلِ، يُقَالُ: أَدْلَجَ بِالتَّخْفِيفِ: إِذَا سَارَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَادَّلَجَ بِالتَّشْدِيدِ: إِذَا سَارَ مِنْ آخِرِهِ، وَالِاسْمُ مِنْهُمَا الدُّلْجَةُ وَالدَّلْجَةُ، بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ".

4-المعني الإجمالي للحديث:

قال ابن حجر –رحمه الله– في "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، (94/1-95):

"والمشادة بالتشديد المغالبة يقال شاده يشاده مشادة إذا قاواه والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينيه ويترك الرفق الا عجز وانقطع فيغلب قال بن المنير في هذا الحديث علم من أعلام النبوة فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع وليس المراد منع طلب الاكمل في العبادة فإنه من الأمور المحمودة بل منع الافراط المؤدي إلى الملال أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة أو إلى أن خرج الوقت المختار أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة .... وقد يستفاد من هذا الإشارة إلى الأخذ بالرخصة الشرعيه فإن الأخذ بالعزيمة في موضع الرخصه تنطع كمن يترك التيمم عند

Knowledge Scientific Journal
Multidisciplinary Electronic
E-ISSN: 2708-3527
Issue: II
Date of Publication: 05/08/2020
www.knowledge.upei-uol.mg
مجلة المعرفة
متعددة التخصصات الإلكترونية
الترقيم الدولي المعياري الإلكتروني: 2708-3527
العدد: 2
تاريخ الإصدار: 2020/08/05

العجز عن استعمال الماء فيفضي به استعماله إلى حصول الضرر، وقوله فسددوا أي الزموا السداد وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط قال أهل اللغه السداد التوسط في العمل وقوله وقاربوا أي أن لم تستطيعوا الأخذ بالاكمل فاعملوا بما يقرب منه قوله وأبشروا أي بالثواب على العمل الدائم وأن قل والمراد تبشير من عجز عن العمل بالاكمل بان العجز إذا لم يكن من صنيعه لا يستلزم نقص أجره وأبهم المبشر به تعظيما له وتفخيما وقوله واستعينوا بالغدوة أي استعينوا على مداومة العبادة بايقاعها في الأوقات المنشطة، والغدوة بالفتح سير أول النهار وقال الجوهري ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس ، والروحة بالفتح السير بعد الزوال والدلجة بضم أوله وفتحه واسكان اللام سير آخر الليل وقيل سير الليل كله ولهذا عبر فيه بالتبعيض ولان عمل الليل أشق من عمل النهار وهذه الأوقات أطيب أوقات المسافر وكأنه ﷺ خاطب مسافرا إلى مقصد فنبهه على أوقات نشاطه لأن المسافر إذا سافر الليل والنهار جميعا عجز وانقطع وإذا تحرى السير في هذه الأوقات المنشطه امكنته المداومه من غير مشقة وحسن هذه الاستعارة أن الدنيا في الحقيقة دار نقلة إلى الاخره وأن هذه الأوقات بخصوصها أروح ما يكون فيها البدن للعبادة.." إن الدين يسر"، أي ميسر مسهل في عقائده وأخلاقه وأعماله، وفي أفعاله وتُروكه , والدين الإسلامي يسير على من يسَّره الله سُبحَانَهُ وَتَعَالى عليه، ليس على كل الناس ميسر، بل هو من أصعب الأمور على المنافقين، نسأل الله العافية والسلامة ، "ولن يَشادَ الدينَ أحد إلا غلبه" وأما من شدد على نفسه فلم يكتف بما اكتفى به النبي ﷺ ، ولا بما علَّمه للأمة وأرشدهم إليه، بل غلا، وأوغل في العبادات: فإن الدين يغلبه، وآخر أمره العجز والانقطاع،ورجع القهقرى فاطلبوا السداد من العمل الأصلح الأقوى و وقاربوا أي: إذا لم تستطيعوا السداد فقاربوا، أي: إذا لم تستطع أن تأتي على الهدف فحول الهدف،إذا أخطأت فيكون قريباً منه، أي: قريباً من الصواب ثم يقول ﷺ : أبشروا، ما دام أنكم تسددون وتقاربون فمن التسديد والمقاربة أنا إذا أخطأنا تبنا إلى الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وإذا أسأنا استغفرنا ،ثم يرشد النبي الي مايعين علي ذلك بقوله واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة، الغدوة: هي أول النهار بعد صلاة الفجر إلى الضحى،وأغلى وقت في حياة المسلم هو ما بعد صلاة الفجر، إذا أراد مهمة أو عبادة أو ذكراً فعليه بذاك الوقت، وإذا أراد أن يطلع في كتاب أو يفهم فعليه بما بعد صلاة الفجر، ومن أراد كذلك أن يخصص وقتاً لقراءة القرآن وتدبره فبعد صلاة الفجر , وإذا أراد عملاً ما، أو سفراً، أو تجارة فعليه بما بعد صلاة الفجر، ولذلك روى الإمام أحمد في مسنده ، عن أبي صخر الغامدي أن الرسول ﷺ قال: بارك الله لأمتي في بكورها[4] ، وأيضاً الروحة : قال أهل العلم: الروحة بعد صلاة العصر، ومن لم يستطع بعد صلاة العصر فقبل الغروب، فبعد صلاة الفجر وقبل صلاة المغرب هما أفضل وقت، وأصفى وقت للمسلم ليحاسب نفسه، ويراجع معاملته مع الله سُبحَانَهُ وَتَعَالى من ذكر وعبادة، وشيء من الدلجة :أي: من الليل، خذوا قليلاً بعد صلاة الفجر، وقليلاً بعد صلاة المغرب، وخذوا قليلاً من الدلجة، وكأنه يقول في السحر؛ لأنها أعظم ساعة تتصل فيها بالحي القيوم تبارك وتعالى ، ولم يقل ﷺ : واستعينوا بالدلجة؛ لأنه نهى عن قيام كل الليل، إنما يقام شيء من الليل ، قال تعالى **{ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ }** [الذاريات17] وحملها بعض أهل التفسير على أنهم يصلون قليلاً من الليل، والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب.

هذه هي قضايا هذا الحديث، يريد ﷺ أن يقرب إلى الأفهام أن هذا الدين ليس بالمغالبة، وإنما هو باليسر وبالسهولة، وبأخذه بالتي هي أحسن؛ لأن الله تعالى يسره للناس، يقول ابن حجر –رحمه الله– في شرح ترجمة البخاري قَوْلُهُ : (بَابُ الدِّينِ يُسْرٌ)

4–الحديث رواه أبو داود، والترمذي وحسنه، وابن ماجه، وأحمد، عن صخر بن وداعة الغامدي

Knowledge Scientific Journal
Multidisciplinary Electronic
E-ISSN: 2708-3527
Issue: II
Date of Publication: 05/08/2020
www.knowledge.upei-uoi.mg
مجلة المعرفة
متعددة التخصصات الإلكترونية
التوقيم الدولي المعياري الإلكتروني: 2708-3527
العدد: 2
تاريخ الإصدار: 2020/08/05

:" دِينُ الْإِسْلَامِ ذَو يُسْرٍ ، أَوْ سَمَّى الدِّينَ يُسْرًا مُبَالَغَةً بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَدْيَانِ قَبْلَهُ ; لِأَنَّ اللَّهَ رَفَعَ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْإِصْرَ الَّذِي كَانَ عَلَى مَنْ قَبْلِهِمْ . وَمِنْ أَوْضَحِ الْأَمْثِلَةِ لَهُ أَنَّ تَوْبَتَهُمْ كَانَتْ بِقَتْلِ أَنْفُسِهِمْ، وَتَوْبَةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْإِقْلَاعِ وَالْعَزْمِ وَالنَّدَمِ".

وقال الحافظ ابن رجب –رحمه الله–:

" معنى الحديث: النهي عن التشديد في الدين، بأن يحمّل الإنسان نفسه من العبادة ما لا يحتمله إلا بكلفة شديدة، وهذا هو المراد بقوله ﷺ:"لن يشاد الدين أحد إلا غلبه": يعني: أن الدين لا يؤخذ بالمغالبة، فمن شاد الدين غلبه وقطعه. وفي " مسند الإمام أحمد "[5] عن محجن بن الأدرع قال : " أقبلت مع النبي ﷺ ، حتى إذا كنا بباب المسجد إذا رجل يصلي قال : " أتقوله صادقا " ؟ قلت : يا نبي الله هذا فلان ، وهذا من أحسن أهل المدينة أو من أكثر أهل المدينة صلاة ، قال : " لا تسمعه فتهلكه – مرتين أو ثلاث – إنكم أمة أريد بكم اليسر "، وفي رواية له[6]:" إن خير دينكم أيسره ، إن خير دينكم أيسره " ، وقد جاء في رواية عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا :"إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ولا تُبَغِّض إلى نفسك عبادة الله ؛ فإن المُنْبَتَّ لا سفرا قطع ، ولا ظهرا أبقى "[7] ، والمُنْبَتُّ :هو المنقطع في سفره قبل وصوله ، فلا سفرا قطع ، ولا ظهره الذي يسير عليه أبقى حتى يمكنه السير عليه بعد ذلك ؛ بل هو كالمنقطع في المفاوز ، فهو إلى الهلاك أقرب ، ولو أنه رفق براحلته واقتصد في سيره عليها لقطعت به سفره وبلغ إلى المنزل " .أ.هـ[8]

قال الحافظ السيوطي في شرح هذا الحديث:

" (إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ) سَمَّاهُ يُسْرًا مُبَالَغَةً بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَدْيَانِ قَبْلَهُ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَفَعَ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْإِصْرَ الَّذِي كَانَ عَلَى مَنْ قَبْلَهُمْ ، وَمِنْ أَوْضَحِ الْأَمْثِلَةِ لَهُ أَنَّ تَوْبَتَهُمْ كَانَتْ بِقَتْلِ أَنْفُسِهِمْ ، وَتَوْبَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْإِقْلَاعِ وَالْعَزْمِ وَالنَّدَمِ (وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ) قَالَ ابْنُ التِّينِ : فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ ، فَقَدْ رَأَيْنَا وَرَأَى النَّاسُ قَبْلَنَا أَنَّ كُلَّ مُتَنَطِّعٍ فِي الدِّينِ يَنْقَطِع ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ طَلَبَ الْأَكْمَلِ فِي الْعِبَادَةِ ، فَإِنَّهُ مِنَ الْأُمُورِ الْمَحْمُودَةِ ، بَلْ مَنَعَ مِنَ الْإِفْرَاطِ الْمُؤَدِّي إِلَى الْمَلَالِ ، وَالْمُبَالَغَةِ فِي التَّطَوُّعِ الْمُفْضِي إِلَى تَرْكِ الْأَفْضَلِ ، أَوْ إِخْرَاجِ الْفَرْضِ عَنْ وَقْتِهِ ، كَمَنْ بَاتَ يُصَلِّي اللَّيْلَ كُلَّهُ وَيُغَالِبُ النَّوْمَ إِلَى أَنْ غَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ ، فَنَامَ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ ، (فَسَدِّدُوا) أَيِ الْزَمُوا السَّدَادَ ، وَهُوَ الصَّوَابُ ، مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ (وَقَارِبُوا) أَيْ : إِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا الْأَخْذَ بِالْأَكْمَلِ فَاعْمَلُوا بِمَا يُقَرِّبُ مِنْهُ ، (وَأَبْشِرُوا) أَيْ : بِالثَّوَابِ عَلَى الْعَمَلِ الدَّائِمِ ، وَإِنْ قَلَّ ، أَوِ الْمُرَادُ تَبْشِيرُ مَنْ عَجَزَ عَنِ الْعَمَلِ بِالْأَكْمَلِ بِأَنَّ الْعَجْزَ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ صُنْعِهِ لَا يَسْتَلْزِمُ نَقْصَ أَجْرِهِ ، وَأَبْهَمَ الْمُبَشَّرَ بِهِ تَعْظِيمًا لَهُ وَتَفْخِيمًا (وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ) أَيِ اسْتَعِينُوا عَلَى مُدَاوَمَةِ الْعِبَادَةِ بِإِيقَاعِهَا فِي الْأَوْقَاتِ الْمُنَشِّطَةِ ، وَ" الْغَدْوَةُ " بِالْفَتْحِ : سَيْرُ أَوَّلِ النَّهَارِ ، وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ : مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَالرَّوْحَةُ بِالْفَتْحِ : السَّيْرُ بَعْدَ الزَّوَالِ ، وَالدُّلْجَةُ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَفَتْحِهِ وَإِسْكَانِ اللَّامِ : سَيْرُ آخِرِ اللَّيْلِ ، وَقِيلَ : سَيْرُ اللَّيْلِ كُلِّهِ ، وَلِهَذَا عَبَّرَ فِيهِ بِالتَّبْعِيضِ ، وَلِأَنَّ عَمَلَ اللَّيْلِ أَشَقُّ مِنْ عَمَلِ النَّهَارِ ، فَهَذِهِ الْأَوْقَاتُ أَطْيَبُ أَوْقَاتِ الْمُسَافِرَةِ ، فَكَأَنَّهُ – ﷺ – خَاطَبَ مُسَافِرًا

5–أخرجه أحمد في "مسنده"، (32/5) وحسنه محققو المسند.

6– "مسند أحمد " (479/3)

7–أخرجه البيهقي في " السنن الكبرى "، (19/3)، وضعفه الألباني في " السلسلة الضعيفة " (64/1)

8– ينظر:" فتح الباري "، لابن رجب (136/1–139)

إِلَى مَقْصِدٍ فَنَبَّهَهُ عَلَى أَوْقَاتِ نَشَاطِهِ ؛ لِأَنَّ الْمُسَافِرَ إِذَا سَارَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ جَمِيعًا عَجَزَ وَانْقَطَعَ ، وَإِذَا تَحَرَّى السَّيْرَ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ الْمُنَشِّطَةِ أَمْكَنَتْهُ الْمُدَاوَمَةُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ ، وَحُسْنُ هَذِهِ الِاسْتِعَارَةِ أَنَّ الدُّنْيَا فِي الْحَقِيقَةِ دَارُ نُقْلَةٍ إِلَى الْآخِرَةِ"[9].

ويقول السعدي –رحمه الله–:"ما أعظم هذا الحديث وأجمعه للخير والوصايا النافعة والأصول الجامعة ، فقد أسّس ﷺ في أوله هذا الأصل الكبير ، فقال: "إن الدين يسر" أي : ميسر مسهل في عقائده وأخلاقه وأعماله ، وفي أفعاله وتُروكه : فإن عقائده التي ترجع إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقَدَر خيره وشره : هي العقائد الصحيحة التي تطمئن لها القلوب ، وتوصِّل مقتديها إلى أجلِّ غاية وأفضل مطلوب، وأخلاقه وأعماله أكمل الأخلاق وأصلح الأعمال ، بها صلاح الدين والدنيا والآخرة ، وبفواتها يفوت الصلاح كله ، وهي كلها ميسرة مسهلة ، كل مكلف يرى نفسه قادراً عليها لا تشق عليه ولا تكلفه، عقائده صحيحة بسيطة ، تقبلها العقول السليمة ، والفطر المستقيمة، وفرائضه أسهل شيء : أما الصلوات الخمس : فإنها تتكرر كل يوم وليلة خمس مرات في أوقات مناسبة لها ، وتمم اللطيف الخبير سهولتها بإيجاب الجماعة والاجتماع لها ؛ فإن الاجتماع في العبادات من المنشطات والمسهلات لها ، ورتب عليها من خير الدين وصلاح الإيمان وثواب الله العاجل والآجل ما يوجب للمؤمن أن يستحليها ، ويحمد الله على فرضه لها على العباد ؛ إذ لا غنى لهم عنها، وأما الزكاة : فإنها لا تجب على فقير ليس عنده نصاب زكوي ، وإنما تجب على الأغنياء تتميماً لدينهم وإسلامهم ، وتنمية لأموالهم وأخلاقهم ، ودفعاً للآفات عنهم وعن أموالهم ، وتطهيراً لهم من السيئات ، ومواساة لمحاويجهم ، وقياماً لمصالحهم الكلية ، وهي مع ذلك جزءٌ يسير جداً بالنسبة إلى ما أعطاهم الله من المال والرزق، وأما الصيام : فإن المفروض شهر واحد من كل عام ، يجتمع فيه المسلمون كلهم ، فيتركون فيه شهواتهم الأصلية – من طعام وشراب ونكاح – في النهار , ويعوضهم الله على ذلك من فضله وإحسانه تتميم دينهم وإيمانهم ، وزيادة كمالهم ، وأجره العظيم ، وبره العميم ، وغير ذلك مما رتبه على الصيام من الخير الكثير ، ويكون سبباً لحصول التقوى التي ترجع إلى فعل الخيرات كلها ، وترك المنكرات، وأما الحج : فإن الله لم يفرضه إلا على المستطيع ، وفي العمر مرة واحدة ، وفيه من المنافع الكثيرة الدينية والدنيوية ما لا يمكن تعداده ، قال تعالى: **{لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ }** [الحجّ:28] أي: دينية ودنيوية، ثم بعد ذلك بقية شرائع الإسلام التي هي في غاية السهولة الراجعة لأداء حق الله وحق عباده . فهي في نفسها ميسرة ، قال تعالى : **{ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}** البقرة:185، ومع ذلك إذا عرض للعبد عارض مرض أو سفر أو غيرهما ، رتب على ذلك من التخفيفات ، وسقوط بعض الواجبات ، أو صفاتها وهيئتها ما هو معروف، ثم إذا نظر العبد إلى الأعمال الموظفة على العباد في اليوم والليلة المتنوعة من فرض ونفل ، وصلاة وصيام وصدقة وغيرها ، وأراد أن يقتدي فيها بأكمل الخلق وإمامهم محمد ﷺ ، رأى ذلك غير شاق عليه ، ولا مانع له عن مصالح دنياه ، بل يتمكن معه من أداء الحقوق كلها : حقّ الله ، وحقّ النفس ، وحقّ الأهل والأصحاب ، وحقّ كلّ من له حقّ على الإنسان برفق وسهولة، وأما من شدّد على نفسه فلم يكتف بما اكتفى به النبي ﷺ ، ولا بما علَّمه للأمة وأرشدهم إليه ، بل غلا وأوغل في العبادات : فإن الدين يغلبه ، وآخر أمره العجز والانقطاع ، ولهذا قال :"ولن يَشادَّ الدينَ أحد إلا غلبه"، فمن قاوم هذا الدين بشدة وغلو ولم يقتصد : غلبه الدين ، واستحسر ، ورجع القهقرى، ولهذا أمر ﷺ بالقصد ، وحثّ عليه فقال :"والقصد القصد تبلغوا"، ثم وصى ﷺ بالتسديد والمقاربة، وتقوية النفوس بالبشارة بالخير، وعدم اليأس، فالتسديد: أن يقول الإنسان القول السديد ، ويعمل العمل السديد ، ويسلك الطريق الرشيد ، وهو الإصابة في

9– ينظر: "سنن النسائي بشرح السيوطي" (122/8)

أقواله وأفعاله من كل وجه ، فإن لم يدرك السداد من كل وجه فليتق الله ما استطاع ، وليقارب الغرض ، فمن لم يدرك الصواب كله فليكتف بالمقاربة ، ومن عجز عن العمل كله فليعمل منه ما يستطيعه، ويؤخذ من هذا أصل نافع دلّ عليه أيضاً قوله تعالى : **{ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ }** التغابن:16، وقوله ﷺ :"إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم" والمسائل المبنية على هذا الأصل لا تنحصر ،وفي حديث آخر : "يسّروا ، ولا تعسروا ، وبَشّروا ، ولا تنفروا"، ثم ختم الحديث بوصية خفيفة على النفوس ، وهي في غاية النفع فقال : "واستعينوا بالغدوة والروحة ، وشيء من الدُّلجة "، وهذه الأوقات الثلاثة كما أنها السبب الوحيد لقطع المسافات القريبة والبعيدة في الأسفار الحسّية ، مع راحة المسافر ، وراحة راحلته ، ووصوله براحة وسهولة ، فهي السبب الوحيد لقطع السفر الأخروي ، وسلوك الصراط المستقيم ، والسير إلى الله سيراً جميلاً ، فمتى أخذ العامل نفسه ، وشغلها بالخير والأعمال الصالحة المناسبة لوقته – أوّل نهاره وآخر نهاره وشيئاً من ليله ، وخصوصاً آخر الليل – حصل له من الخير ومن الباقيات الصالحات أكمل حظ وأوفر نصيب ، ونال السعادة والفوز والفلاح وتم له النجاح في راحة وطمأنينة ، مع حصول مقاصده الدنيوية ، وأغراضه النفسية، وهذا من أكبر الأدلة على رحمة الله بعباده بهذا الدين الذي هو مادة السعادة الأبدية ، إذ نصبه لعباده ، وأوضحه على ألسنة رسله ، وجعله ميسراً مسهلاً ، وأعان عليه من كل وجه ، ولطف بالعاملين ، وحفظهم من القواطع والعوائق .انتهي.[10]

5-فقه وفوائد الحديث:

1- الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده وفطرهم عليه وتعبدهم به، ولن يقبل من أحد ديناً سواه يقول تعالي: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[آل عمران:19]،ويقول ربنا :﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[سورة آل عمران: 85]، والاهْتِدَاء بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ سَبِيلُ المُوَفَّقِينَ، وَالْعِنَايَةُ بِهَا سَمْتُ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ وَالتَّأَسِّي بِالنَّبِيِّ ﷺ بُرْهَانُ المُحِبِّينَ ، قال عزوجل:﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]، فِفِي الاهْتِدَاءِ بِالسُّنَّةِ حِمَايَةٌ لِلْعَبْدِ مِنَ الْجُنُوحِ إِلَى الْإِفْرَاطِ أَوِ التَّفْرِيطِ، وَوِقَايَةٌ لَهُ مِنَ الْغُلُوِّ وَالْجَفَاءِ، وَبُعْدٌ عَنْ مَوَاطِنِ الْفِتْنَةِ وَالْهَلَاكِ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْوُقُوعَ فِي الْفِتَنِ سَبَبُهُ اتِّصَافُ الْعَبْدِ بِالْهَوَى أَوْ بِالْجَهْلِ أَوْ بِكِلَيْهِمَا. وَالمُعَظِّمُ لِلْأَثَرِ، المُلَازِمُ لِلسُّنَنِ يَكْبَحُ هَوَاهُ بِالتَّأَسِّي، وَيُزِيلُ ظَلَامَ الْجَهْلِ بِأَنْوَارِ السُّنَّةِ.

2-هَذَا حَدِيثٌ مِنْ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ المُصْطَفَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُعَالِجُ مَا فِي النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ مِنَ النُّزُوعِ إِلَى الْإِفْرَاطِ أَوِ التَّفْرِيطِ، وَمَا أَحْوَجَنَا إِلَى مَعْرِفَتِهِ فِي هَذَا الزَّمَنِ الَّذِي فُتِحَتْ فِيهِ أَبْوَابُ الْفِتَنِ!، قال ابن المنير[11]:"في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة ، فإنه من الأمور المحمودة ، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملال ، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل ، أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة ،

10- ينظر:" بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار " (ص/77-80)

11- هو: أحمد بن محمد بن منصور الجذامي الإسكندراني، ابن المنير، ولد سنة 620 هـ، له مصنفات مفيدة، وتفسير نفيس، توفّي ابن المنير سنة 656 هـ. [ينظر:" الوافي بالوفيات" (8/ 128)، و"شذرات الذهب" (5/ 381)]

أو إلى أن خرج الوقت المختار ، أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة "انتهى.[12]فليس من الغلو طلب الأكمل في العبادة؛ بل الغلو تجاوز الأكمل إلى ما يؤدي إلى المشقة ونحوها، وليس الجفاء هو طلب الحد الأدنى من العبادة بل هو طلب التخفيف والتسهيل لحد الخروج عن شرعه وتجاوز حدوده باسم الدين، ومن يظن أن إعمال نصوص الشرع تؤدي للغلو، فإنه واهم؛ لأنه لا تلازم بين التمسك بالنصوص والغلو؛ فقد كان الصحابة أشد الناس تمسكاً والتزاماً لنصوص الشريعة مطلقاً ، ومع هذا لم يحصل لهم غلو أو تشديد، إلا في قضايا عينية في حياة النبي ﷺ أرشد أصحابه إليها وعلمهم وبين لهم طريق العبادة المعتدل، فانتهوا [13]

3-الإسلام ذم التشدد والغلو والتنطع وحث علي الرفق واليسر وقد وردت أحاديث كثيرة في التحذير من وذم التنطع والإفراط والتشدد في الدين، إن التيسير مَعْلَمٌ من معالم الشريعة الإسلامية ، ومظهر من مظاهرها؛ إذْ أنَّ المُتتبِّع لأحكام الشريعة الغرَّاء في كلِّ أحوالها وجوانبها يُلاحظ التيسير نمطاً سائداً، وهدفاً واضحاً، فالعبادات وما شملته من أحكام, والمعاملات وغيرها كلُّها مبنية على التيسير، بل إننا لا نكون قد تجاوزنا الحدَّ إذا قلنا: إنَّ التيسير من المقاصد العليا للشريعة الإسلامية, ولعل من أسباب هذا التيسير هو ما اختصَّ الله تعالى به هذه الأمة دون غيرها من خصائص, ومن أهمها: كونها الأمة الخاتَمة التي بها خُتمت الأمم؛ ومن ثَمَّ فليس هناك مجال للاستدراك على أحكامها؛ إذاً تُمثِّل الأمة الإسلامية مرحلةَ الرُّشد في تاريخ البشرية, والتي ببلوغها كمل الدين وتمَّت النِّعمة, ومَوته ﷺ انقطع الحبل الواصل بين السماء والأرض من النبوة المباركة، لذا جاءت رسالته ﷺ سهلةً ومُيسَّرة في جميع أحكامها وأحوالها, ولم يُصبها ما أصاب الرسالات السابقة من الآصال والأغلال المفروضة عليهم؛ بسبب ظلم كثيرٍ من أتباعها, وجحودهم, وتلكُّئهم عن الاستجابة لأنبيائهم, فعاقبهم الله تعالى بالتشديد عليهم في كثير من التشريعات, فأصبحت شاقَّة وثقيلة؛ كما قال سبحانه: **{مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا}** [النساء: 160].[14]،لقد جاء الإسلام آمرا بالاعتدال والاقتصاد والوسطية في كل أمر، حتى ميزت هذه الأمة وخصت بذلك، قال سبحانه وتعالى : **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}** [البقرة: 143] .وقال سبحانه آمرا بالاستقامة والاعتدال، ناهيا عن الغلو والطغيان: **{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}**[هود: 112]، وحذرنا رسول الله ﷺ من الغلو ومجاوزة الحد المشروع لنا، فقال عليه الصلاة والسلام ناهيا عن الغلو، مبينا أنه سبب هلاك من قبلنا: "إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"، وبين عليه السلام أن هذا المتنطع الغالي المتعمق، المجاوز للحد في قوله وفعله هالك لا محالة فيقول: "هلك المتنطعون" قالها ثلاثا .ويقول سبحانه وتعالى في شأن أهل الكتاب ناهيا إياهم عن الغلو: **{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً}** [النساء: 171]. ويقول سبحانه وتعالى: **{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ}** [المائدة: 77]. ويبين الإمام الطحاوي اعتدال هذا الدين وبعده عن الغلو فيقول: " وَدِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَاحِدٌ

12 ينظر:" فتح الباري " لابن حجر (94/1)

13- ينظر: التحذير من الغلو في ضوء القرآن والسنة، أ. د. بدر بن ناصر البدر، مؤتمر ظاهرة التكفير (5/ 2573).

14- بحث منشور في موقع: "ملتقي الخطباء"، بعنوان: الدِّين يُسْر، د. محمود بن أحمد الدوسري، بتاريخ: 1434/1/16هـ